جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 47 / آذار 2026

# التعريف والتنكير، والالتفات وأثرهما في إبراز المعنى في النَّصِّ القرآنيِّ

# Definiteness and indefiniteness, and shifting and their effect on highlighting the meaning in the Qur’anic text

سجّاد ضمد كامل
**Sajjad Dhammad Kamil**
جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية
**University Of Kerbala / College of Islamic Sciences**

أ.د. جاسم عبد الواحد راهي
**Prof. Dr. Jasem Abdulwahid Rahi**
جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الانسانية
**University Of Kerbala / College of Education for Humanities**

**الكلمات المفتاحية:** التعريف والتنكير، الالتفات، الأثر، إبراز المعنى، النَّص القرآني.
**Keywords:** Definition and indefiniteness, grammatical shift, impact, conveying meaning, Qur’anic text.

**الملخّص:**

يُعدّ التعريف والتنكير ويليهما الالتفات من الدعائم الأساسية التي يقوم عليها علم المعاني ذلك الرُّكن البلاغي المعروف، وقد اشتملَ القرآن الكريم في الكثير من تعبيراته على مصاديق متنوعة وأمثلة متكاثرة لتلك الأساليب أو الدعائم التي تقدم ذكرها عَبرَ خطاباته المختلفة؛ بُغية التأثير وإيصال ما يرغب الانتهاء إليه وإقراره من المقاصد في نفس المتلقي؛ وذلك بوساطة ما تشتمل عليه هذه الأساليب من جميل التَّركيب وجليل النظم العامل على استهواء الأذهان وجذب الانتباه، وبذلك ينتهي البحث إلى إظهار ما تقف عليه تلك الفنون والمعالم البلاغية من جليل الأثر في خدمة المزية التعبيرية الهادفة إلى إيصال المقاصد واستجلائها، كما أنَّه يهدف إلى إعطاء أنموذج تطبيقي للعملية التعبيرية عَبرَ ما يُقدّمه من الشواهد العاملة على رفد الموضوعة البلاغية.

**Abstract**

Definition and indefiniteness, followed by grammatical shift, are among the foundational pillars upon which the science of semantics—an essential branch of Arabic rhetoric—is built. The Holy Qur’an, in many of its expressions, contains various instances and abundant examples of these rhetorical devices, skillfully employed throughout its diverse discourses. These stylistic elements aim to influence the recipient and convey the intended meanings and objectives, relying on the beauty of composition and the eloquence of structure that captivate the mind and draw attention.

Accordingly, this study concludes by highlighting the profound impact of these rhetorical arts and features in enhancing expressive clarity and communicating intended meanings. Moreover, it seeks to provide an applied model of expressive function through the presentation of textual evidence that supports and enriches the rhetorical topic at hand.

**المقدمة:**

الحمد لله رب العالمين بارئ الخلائق أجمعين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد...

لقد سارَ في ركابِ اللغةِ العربيةِ العديد من الأساليب والفنون المتنوّعة التي كان مشربها الأوفى هو ما جاء على ألسنة العرب من جليل الفصاحة والبيان فيما يهدفون إقراره من المقاصد في الأذهان، وعلى غرار ذلك فقد تغنّى القرآن الكريم بتلك الأساليب والفنون مانحًا لها أبهى المصاديق وأجلى التعابير التي جعلت روادها والقائلون بها حيارى أمام جودة توظيفه لها فقد نجد الآية الواحدة ينساب عَبرَها العديد من تلك الأساليب المتنوعة وما ذلك إلا دليلًا على عظيم القدرة وكمال الحجّة الدالة على الفارق بين كلامه –جلَّ شأنه– وكلام عباده.

إنَّ مما هو مسلّم به في الشأن البلاغي عند الجميع وعند روّاد البلاغة على وجه الخصوص معرفة الثوابت الثلاثة التي تقوم عليها وهي كل من علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، فقد وقع البحث الذي نحن الآن بصدد الخوض فيه تحت فيء علم البيان مقتصرًا الحديث على الأخذ بزمام عنصرين من عناصره وهما التعريف والتنكير والالتفات وما لهما من المزايا التعبيرية والإحيائية الباعثة على استجلاء المقاصد وإيصالها وهذا ما

نلتمسه واضحًا في النص المقدس ولا سيّما في الآيات الدالة على النفس التي اتخذها الباحث السبيل لتتبع تجليات تلك الأساليب التي حظيت باهتمام رواد اللغة العربية على اختلاف مشاربهم كما هو الحال عند الحديث عن التعريف والتنكير فقد تدارسه النحويون والبلاغيون كونه ظاهرة تركيبية نحوية واقعة في الجملة الاسمية عبر تعريف بعض الأسماء وتنكير الأخرى تبعًا لغاية يقتضيها السياق، وممن خاض في مسألة التعريف والتنكير هم البلاغيون فقد التمسوا من ورائه العديد من المقاصد الدلالية لعل أبرزها التعميم والتخصيص، فالنكرة تهدف إلى العموم على خلاف المعرفة الرامية إلى التخصيص والتحديد.

وكذلك الالتفات فهو من الملامح البلاغية التي أخذت حقّها من الاهتمام والعناية من قبل أعلام البلاغة وروادها؛ لما ينطوي عليه من الأهمية الكامنة في تجديد نشاط المتلقي وإبعاده عن الضجر، وهذا ما سيتضح بيانه عَبرَ هذا البحث المتكون من مبحثين تسبقهما مقدمة وملخص وتليهما خاتمة متضمنة لأبرز نتائج البحث.

المبحث الأول تناول التعريف والتنكير وبيان ماهيّة كلّ منهما في اللغة والاصطلاح مع بيان لأهم المميزات الموضحة لهما والمظاهر الممثلة لكل منهما في النَّصِّ الكريم.

أما المبحث الثاني فقد أخذ بزمام الالتفات موضحًا مدلوله اللغوي والاصطلاحي ومن ثم بيان أغراضه والشروط اللازمة لقيامه ومن بعدها عرض صوره في النَّص الكريم بأبهى تعبير وأجمل تصوير.

هذا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق محمد (صلى الله عليه وآله).

**المبحث الأول: التعريف والتنكير**

إنَّ التعّريف والتنكير بالغ الأهمية لدى النحويين والبلاغيين ؛ لما يتمتع به هذا الأسلوب من ميزة نحوية وبلاغية لا يتم الظهور الأجلى للنظم في النص القرآني إلا عَبرَها[1]، حيث يُعدُّ من المعالم السياقية التي تتطلبها أحوال المخاطبين والتي يأتي بها المتكلم لإبراز ما يختلج في نفسه من معانٍ وأغراض، فيعرف ما يريد حيث تقتضي الغاية، ويُنكر ما يريد حيث تقتضي الغاية، وما يهمنا هنا هو البحث في كل من التعريف والتنكير من حيث حد كل منهما وأقسامهِ وأغراضهِ البلاغية.

**المطلب الأول: التعريف والتنكير لغةً واصطلاحًا:**

**1 . التعريف والتنكير لغةً:**

أ . التعريف: ورد حدّ التعريف وبيانه في مصنفات أهل اللغة، ومنهم ابن فارس (ت: 395هـ) الذي عرفه بقوله: ((العين والراء والفاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تتابع الشيء متحملًا بعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة. . فالأوّل العُرف: عُرف الفرس، وسمي بذلك لتتابع الشعر عليه. . والأصل الآخر المعرفة والعرفان، تقول: عرَّف فلانٌ فلانًا عرفانًا ومعرفة))[2]، ويعني ذلك التأكد من معرفة الشيء ونفي الجهل عنه بإعطائه دلالة مُحددة لمضمونه، وجاء مدلوله في لسان العرب بأنه يعود إلى الجذر اللغوي (عرفَ) حيث يقال: عرفهُ يعرفهُ عِرفةً وعِرفانًا ومعرفة، عَرفه الأمر: أعلمه إياه، والعُرف ضد النُّكر وهو ما تعرفهُ النَّفس من الخير[3].

ب . التَّنكير: أورد الخليل (ت: 175هـ) أن النكرة نقيض المعرفة[4]، وممن تطرقوا لذكرها سيبويه (ت: 180هـ) حينما قال: ((لأنك إذا قلت: مررتُ برجلٍ فإنك زعمتّ بواحدٍ ممن يقع عليه هذا الاسم، لا تُريد رجلًا بعينه يعرفهُ

المخاطب))[5]، ويعني التعميم دون التخصيص والتحديد، وأصل التنّكير من نكر ينكر نكرًا وتنكيرًا ((والنون والكاف والراء أصل صحيح يدلُ على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب، ونكر الشيء وأنكره: لم يقبله قلبه ولم يعترف به لسانه))[6].

فهو وفقًا لهذا يُعدّ الأسلوب الأولى للمتنكر في الوصول إلى مبتغاه عبر تغيير هيئته وملامحه.

**2 . التعريف والتنكير اصطلاحًا:**

أ . التعريف: أبان البلاغيون حدًّا للتعريف في اصطلاحاتهم، حيث جاء تعريفه عند السكاكي (ت: 626هـ) بأنه: ((الحالة التي تقتضي تعريفه، فهي إذا كان المقصود من الكلام إفادة السامع فائدة يُعتد بها))[7].

في حين عرفه العلوي (ت: 749هـ) بقوله: ((هو ما دل على شيء بعينه))[8].

وما ينجلي من هذه الأقوال أنَّ التعريف يكون مداره اللفظ، ففي مدار اللفظ يكون كُنه التعريف.

وجاء بيان التعريف عند بعض الشارحين كقول الهمداني في شرحه لقول الإمام الهادي (عليه السلام): ((إلّا عَرَّفَهُم جَلَالة أمرِكُم))[9]، حيث قال: ((حقيقة التعريف تمييز الشيء بما لا يشتبه بغيره))[10]، وهذا التعريف يعطي دلالة التوضيح للمعجم المقتضي للتخصيص والتعيين.

ب . التنكير: إنَّ المضامين التي يوحي بها التنكير على تعددها، تكاد تكون مجتمعة في عبارات البلاغيين، حيث ذهب كل من الزملكاني (ت: 651هـ) والقزويني (ت: 739هـ) وابن الأثير (ت: 737هـ) إلى وضع حدٍ للتنكير بقولهم: هو ((ما دلّ على شيء لا بعينه))[11] فهو طبقًا لهذا التعريف يكون غير متعين الدلالة، مما يلقي بضلاله إلى توسع الدلالة البلاغية التي قد لا نجدها في المعارف، ولذلك فإن ((النكرة تُثري التعبير التي ترد فيه بدلالات وأغراض بلاغية لا ترتقي في تأديتها المعارف))[12]، والمراد من هذه التعريفات أنَّ الغاية من التنكير هي الدعوة للخوض في غمار الأشياء التي تستدعي البحث للوقوف على حقيقتها.

**المطلب الثاني: مظاهر التعريف والتنكير ودلالاتها البلاغية في آيات النَّفس:**

**1 . مظاهر التعريف ودلالالتها في آيات النَّفس:**

إنَّ للتعريف دلالات متعددة يوحي بها، لتحقيق أغراض يتوخى الوصول إليها من خلال أشكاله المختلفة مثل:

**أ . التعريف بالضمير:**

يخرج التعريف بالضمير بأنواعه المختلفة إلى أغراض متعددة سنقوم بعرضها على النحو الآتي:

**أولًا: التأكيد:**

إذ يخرج الضمير لغايةٍ هادفة وهي تأكيد الحقائق والمعاني التي يريد المتكلم التأكيد عليها، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** ﴾[13]، حيث جاء ضمير المتكلم في (أرسلنا) للتأكيد، مما كان مؤداه تقوية الالتزام بالطاعة للرسل الذين أُرسلوا من قبل الله سبحانه وتعالى لعباده، ومن مزايا التعريف الأخرى الواردة في النص الكريم هي مجيء مفردة النَّفس مُعرفة بالإضافة إلى ما من شأنه تعريفها عند إضافتها له وهو الضمير

(هم) للدلالة على تميز هذه الأنفس عن غيرها بما تمتلكه من خصيصة إيمانية قارة فيها تعمل على جذبها نحو الصلاح والاستغفار، من بعد أنَّ تهالكت في مسالك الغواية والردى، وكما هو معهود ومعروف عن صيغة التعريف ودورها في تمييز الأعيان بذواتها؛ لذلك تم توظيفها لبيان مكانة من استجابوا لداعي الهداية متخذين من التوبة والاستغفار سبيلهم إلى ذلك[14].

**ثانيًا: التعليل:**

إنَّ من دواعي الإلزام وإقامة الحُجة على الآخر، هو تعليل الأسباب الكامنة لحدوث الوقائع وبيان ماهية كل منها، وللضمائر الدور الأبرز في ذلك كما نجده في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ أَنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[15].

لقد جاء ضمير الخطاب في الآية المباركة مُعللًا لما احتوت عليه الآية من إلزامات وأحكام، حيث استُهلّت بأنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الرب والخالق والرقيب مما يهدف إلى أن يكون مؤداه هو وحدة الاعتقاد؛ لما يشتمله الضمير من عمومية الخطاب[16]، والجانب الآخر ما نجده في الآية من أنَّ الضمير (منها) جاء دالًا على التخصيص حيث إنَّهُ عائد على نفس آدم (عليه السلام)، ومن بعد ذلك جرت مشيئة الله –جلَّ ثناؤه– على خلق حواء من سنخ زوجها لتكون موافقة له في الطبائع والخصال، وهي مدعاة لابتداء المودة والرحمة وبقاءها، وموضع الشاهد في ذلك هو وقوع مفردة (نفسٍ) نكرة للدلالة على نفس سيدنا آدم (عليه السلام) واختصارها عليه[17].

**ب . التعريف بالعلمية:**

إنَّ للعلمية الدور الأبرز في تحديد المسميات وتنظيمها في ذهن المخاطب من دون وساطة، حيث إنَّ من أهم الأعلام التي تم التعريف بها على وفق تلك الطريقة هو تعريف الله سبحانه وتعالى لخليفته وحجته على عباده الإمام المنتظر (عجَّل الله تعالى فرجه الشريف)[18]، ومفاد هذا التعريف نلقاه من تفسير مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) لقوله تعالى: ﴿**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ**﴾[19].

فقد تم تعريف الأنفس بالعلمية؛ لما تشتمل عليه من المصاديق الكثيرة والبارزة التي يكون في مقدمتها هو الإمام الموعود (عليه السلام) كما ورد عن الأصبغ بن نباته عند سؤاله لأمير المؤمنين (عليه السلام)، حينما دخل عليه فوجده مُفكرًا في أمرٍ ما، فقال له: بم أجدك مُفكرًا يا مولاي، فقال (عليه السلام): ((في أمر مولود من صُلبي وهو المهدي وما له من غيبة تهتدي بها أقوامٌ وتُضِّلُ أقوامٌ أخرى، فقلت ثم مإذا قال: يفعل الله ما يشاء من الرجعة البيضاء والكرةُ الزهراء، وإحضار الأنفس الشُّح والقصاص والأخذ بالحق والمجازاة بكل ما سلف ثم يغفر الله لمن يشاء))[20].

ففي كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) دلالة واضحة إلى أن المصداق الأعلى للأنفس الشح هو الإمام الموعود (عجَّل الله تعالى فرجه الشريف)، حيث إنَّ لقاءه قد شحَّ وتعذر على الناس.

**ت . التعريف باسم الإشارة:**

إنَّ للتعريف باسم الإشارة غايات يتوخاها المتُكلم، يقف في مقدمتها بيان رُتبة المُشار إليه إيجابًا وسلبًا، وكذلك تعظيم الأمر في نفس المُخاطب وهو ما نحن بصدده من الحديث عن أهمية اسم الإشارة في إيضاح المعنى العام للموضوعات، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾[21]، فبعد تعريف تلك الأنفس التي تقدم على قتل ذواتها بإضافتها إلى الضمير (الكاف)، نجد إنَّ النص المقدس قد أكدّ ذلك التعريف بعائديته على اسم الإشارة المُتقدم عليه (هؤلاء)؛ للدلالة بأن قتلكم لأنفسكم لا يكون إلا عبرَ بغيكم الظاهر بممارسة الإثم والعدوان المؤدي إلى سفك دماء غيركم، مما يكون نتاجه قتلكم لأنفسكم[22].

**د . التعريف بالاسم الموصول:**

يُعدُّ الاسم الموصول من وسائل التعريف والإيضاح المتينة لما توارى من الأسماء، ولا يتحقق ذلك إلَّا عبرَ ملازمته للصلة الواردة بعدهُ، فالأسماء الموصولة غير واضحة بذاتها، بل أنها ((تفتقر إلى صلات تبينها وتوضحها؛ لأنها لا تُفهم معانيها بأنفسها))[23]، وبذلك يكون للاسم الموصول غاية تعريفية كامنةٌ فيما يحققه من الوضوح في أعلى مراتبه، بدلالة الصلة العاملة على توضيحه [24]، كما في قوله تعالى: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ أَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾[25]، يُشير النص المقدس إلى ما أقبلت عليه زوجة العزيز من أمر المراودة والإفتتان بفتاها الذي تربى بكنفها وتحت فيء رعايتها إلا أنه استعصم وامتنع؛ إذ أنه لا يُقبل على ذلك من كان في السماء في عداد النبيين وكيف يكون في الأرض من العاصين، وما يرمز إلى الأطراف التي وقع بينها أمر المراودة هو ما نلقاه من الأدوات التعريفية عند إقبالنا على قراءة النص وهي كل من الاسم الموصول (التي) الرامز إلى امرأة العزيز وما كان من التعريف الوارد في مفردة (نفسه) الدالة على نبي الله يوسف (عليه السلام)، حيث جاء التعريف بهذه المفردة بقرينة تميزه (عليه السلام) عمن يوجد في ذلك البيت بكثير من الصفات لعل أبرزها العفة والجمال وإلى غيرها من الصفات التي استهوت امرأة العزيز وكانت مدعاة إلى شغفها به[26].

**هـ . التعريف بالإضافة:**

يُعدُّ التعريف بالإضافة أحد مصاديق وألوان التعريف التي تُلتمس ويُلجأ إليها عند ابتغاء التعريف والبيان لإحدى المفردات الكامنة في حقل النكرات، حيث يتم ذلك عبر إسنادها إلى مصاديق التعريف المتعددة كالاسم الظاهر والضمير وما شابه ذلك، ولهذا اللون من التعريف الكثير من المصاديق في كلام العرب وفي النص القرآني ولعل أبرز مصاديقه في النص القرآني قوله تعالى: ﴿**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾[27]، يُبين النص المقدس عاقبة ومآل أمر من يخادعون الله فإنَّهم لا يُخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون، وموضع الشاهد في النص هو ما اكتسبته مفردة (نفس) من التعريف عبر إضافتها إلى الضمير (هم)؛ للدلالة على اختصاصهم بالخداع المُوجب لمقت الله ـ سبحانه وتعالى ـ والمُنتهي إلى استدراجه لهم واستهزائه بهم[28].

## 2 . مظاهر التنكير ودلالاتها في آيات النَّفس:

أنَّ لفن التنكير في القرآن الكريم معالمٌ ومظاهر متعددة، تهدف إلى تحقيق غايات مختلفة لعل أبرزها الآتي:

أ ـ **التقليل**: يرّد التنكير في النص القرآني وتكون الدلالة المتوخاة من ورائه هي التقليل كما نلقى ذلك ماثلًا في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ أَنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾(29).

نجد أنَّ التنكير في قوله ـ جل شأنه ـ قد اعترى ما جاءَ الخطاب لأجله وهو النَّفس الإنسانية، حيث إنَّها وردت نكرة (نفسٌ)؛ لإفادة التحقير لما أقبلت عليه من التجني وإقتراف الذنوب، وكذلك من الأغراض الأخرى التي يخرج إليها تنكير تلك المفردة من التأكيد والدعوة إلى مراقبتها ومحاسبتها ولو بقدرٍ يسير، وفي ذلك قال الزمخشري (ت: 538هـ): ((فإن قلت: ما معنى تنكير النَّفس؟ قلت: أما تنكير النَّفس فاستقلال للأنفس النواظر فيما قدمن للآخرة))(30).

والمراد من ذلك أي تنكير النَّفس، هو بيان استقلاليتها والتركيز على ذاتها فيما قدمت وأخرت بشأن مصيرها من الالتزام بأوامر الله ـ جل شأنه ـ واجتناب نواهيه.

ب: **التعميم**: يظهر التنكير في النص المقدس وتكون من ورائه غايات متعددة منها التعميم كما في قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ** ﴾(31)، جاء مصداق التنكير في النص متمثلًا بلفظة (نفسٌ) للدلالة على التعميم والتوكيد على عدم تحمل كل نفس لأعباء وذنوب غيرها، وهذا ما تطرق إليه أبو السعود (ت: 982هـ): ((وإيراده منكرًا مع تنكير النَّفس للتعميم والإقناط الكلي))(32).

وبهذا يتضح الغرض المُتقدم ذكره فيما يخرج إليه التنكير من الدلالة على التعميم، ومن مصاديق التنكير الأخرى هو قوله تعالى: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾(33).

يرمز النص الكريم إلى حقيقة تُشكل بدورها القانون العام الذي يخضع له كُل الأحياء وهو الموت، وبذلك فقد أعطت مفردة (نفس) الملاصقة لمفردة (كل) في قوله تعالى دلالة مُطلق العموم، لما فيها من التنكير الداعي إلى التعميم بورود الموت على كل نفس(34).

ت: **التبعيض**: ومثاله قوله ـ جل شأنه ـ في كتابه العزيز: ﴿ **وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۝ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾(35).

لقد جاءت الآية الكريمة موضحة ومُبينة لحادثة قد وقعت في زمان نبي الله موسى (عليه السلام) ومُجمل هذه الحادثة هي ما أقبل عليه نفرٌ من اليهود من القتل لابن عمهم ؛ لغاية استخلاص ما يكون له من الإرث مع ما حصل لهم من الاطمئنان بعدم الإمكان من إدانتهم وإقامة الُحجة عليهم، ففي ذلك الحال أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ وليه وخليفته موسى (عليه السلام) بكشف مكنون ذلك الأمر؛ استظهارًا للحق وتثبيتًا للمعاجر الإلهية القائمة على أيدي أوليائه الدالة على عظيم القدرة في الكشف عن بواطن الأمور، فأمرهم موسى (عليه السلام) أنَّ يأتوا ببقرة ويضربوه ببعضها وسيُخبرهم بمن قتله، وموضع الشاهد في هذا النص الموضح لتلك القصة هو ما كان

من التنكير لمفردة (نفسًا) للدلالة على التبعيض والقلة فيما وقع عليه القتل من الأنفس وهو رجلٌ واحد، وكذلك ليتوافق هذا التنكير الدال على القلة مع مفردة (أضربوه) وما فيها من الضمير (الهاء) العائد على المفرد الواحد الممثل للنَّفس التي وقع عليها القتل، وبذلك تكون الغاية الواضحة من وراء التنكير لمفردة (نفسًا) هي التبعيض والدلالة على القلة[36].

**المبحث الثاني: الالتفات**

يُعدُّ الالتفات من الفنون البلاغية الرائجة في ثنايا النصوص؛ لما يمثله من مَلمَح جمالي مُمتع ورائق، فقد وُضِع في بداية الأمر في ركاب علم البديع ولم يخالف في ذلك سوى الزمخشري (ت: 538هـ) الذي أسنده إلى علم البيان، إلا أنَّ أسلوبه الذي يُعنى بتقلبات الجملة وجماليات التركيب فيها، مما جعل الباحث يجد قُربه من علم المعاني أجلى وأعلى من علم البيان والبديع.

**المطلب الأول: الالتفات في اللغة والاصطلاح:**

**أولًا: الالتفات في اللغة:**

لقد عُرِّف الالتفات عند أصحاب المعجمات ((بأنَّه من لفتَ فلانًا عن رأيه أي صرفه عنه ومنه الالتفات))[37]، أي هو ما كان حاصلًا وموجبًا لنقل التفكير وصرفه من نقطة إلى أخرى.

ورد في القاموس المحيط بيان حدّ الالتفات وهو: ((لفته يلفته: لواه وصرفه عن رأيه ومنه الالتفات والتلّفت...))[38].

وفي النص القرآني ما جاء مماثلًا لذلك كقوله تعالى: ﴿ **قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا**﴾[39]، فقد فسرها الثعالبي (ت: 429هـ) بقوله: ((وقولهم لتلفتنا أي لتصرفنا وتلوينا وتردنا عن دين آبائنا، يُقال: لفت الرجل عُنق الأخر إذ لواهُ))[40].

ومفاد هذا القول إنَّ الالتفات من محاسن اللفظ وأضرب البلاغة الهادفة إلى تحويل الكلام ونقله من أسلوب لآخر، تجديدًا لنشاط السامع، وتخليصًا له من الضجر والملل الحاصل من مواصلة الأسلوب الواحد الطارق لمسامعه[41].

**ثانيًا: الالتفات في الاصطلاح:**

لقد تعددت الأقوال المبينة لحدود الالتفات وتعريفه من قبل البلاغيين الذين أولوه اهتمامًا كبيرًا، لكثرة مجيئه في النص القرآني؛ فمن أولئك الذين عرفوه ومنهم ابن المعتز (ت: 296هـ) بقوله: ((انصراف المتكلّمِ عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر))[42].

فهو يعني بذلك الانتقال من حالة إلى أخرى وعرَّفهُ ابن وهب الكاتب (ت: 353هـ) بمصطلح الصرف وعنده هو ((صرف القول من المخاطبة إلى الغائب ومن الواحد إلى الجماعة))[43]. ومفاد هذا القول كسابقه فهو دالٌ على

الانتقال بأنواعه كالانتقال بين الأحوال من جهة الحضور والغيبة، وكذلك الانتقال بين الشخوص من الواحد إلى الجماعة.

**المطلب الثاني: أغراض الالتفات:**

وللالتفات أغراض ظاهرة ملموسة: كالتوحيد والتثبيت وغرض حقيقي آخر يقف وراء هذه الأغراض وهو ما يريده الملتفت ويكون كُنه مفاده أنه ((يقوم على مقتضيات التخطي والانحراف عن النسق اللغوي المألوف، وذلك بوساطة انتقال الكلام من صيغة إلى أخرى، كالانتقال من الخطاب إلى الغيبة أو العكس))(44).

لقد قام أحد الباحثين باختزال جماليات هذا المَلمَح البلاغي (الالتفات) وحصرها في نقطتين:

1 ـ يؤدي هذا اللون انبعاثاً لسماتٍ مُفككة للغايات والقَصديَّة لدى القارئ.

2 ـ مجيئهُ بمعنى مغاير يكون مؤدَّاه الانصراف عن المعنى السابق والمُتصدر(45).

وبهذا يكون الالتفات: من الظواهر التي تدعو إلى إثارة المُتلقي وشد انتباهه ودفع السأم عنهُ بتغير الأسلوب وشدهُ للمتكلم، وفي الوقت ذاته يرى البعض الآخر أنَّ الغاية منهُ هي غير ما تداوله البعض من هذه المباني التي تَقدَّم ذكرُها وإنما غايته وغرضه الأساس هو الإقناع والتفهيم لا التشتيت والتضليل(46).

**الشروط اللازم توفرها لتحقيق الالتفات:**

لقد وضع أرباب هذا المبحث البلاغي شروطًا لتحققه والإتيان به، ولعل أولى تلك الشروط الآتي:

**أولًا:** مجيء الكلام على خلاف مقتضى الظاهر: والمراد من ذلك أنَّ الالتفات يكون بالتعبير عن المعنى المطلوب، من خلال طريق مخالف لما يقتضيه المقام الذي يسير عليه السياق، تماشيًا مع ما اشترطوه لحد الالتفات وغرضه الهادف إلى نقل الكلام من حالة إلى أخرى لتطرية نشاط السامع وإيقاضه(47).

**ثانيًا:** اشترط بعض من البلاغيين أن يكون عَودُ الضمير في المتنقل إليه عائدًا في الأمر نفسه إلى الملتفت عنه بعد التعّبير عنه ومثاله: (أكرمْ زيدًا وأحسن إليه)، فنجد الضمير (أنت) الذي هو في محل فاعل للفعل (أكرم) هو غير الضمير في (إليه)، فوفقًا لما تقدم من الشرط أعلاه لم يكن ذلك الالتفات ؛ لأن الالتفات يقضي أن يكون كلٌ منهما في الأمر نفسه.

**ثالثًا:** أن يكون المخاطب بالكلام في الحالين واحد، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾(48)، فإن الحاصل قبل هذا الكلام وإن لم يكن المخاطب به هو الله تعالى من جهة الظاهر، فهو بمقام المخاطب به، حيث إنَّ ذلك يحصل بين الله والعبد لا غير(49).

**أهداف الالتفات:**

**1 ـ إتمام المعنى المقصود الذي يُريدُ المتكلم إيصاله:**

ومثاله قوله تعالى: ﴿ **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا أَنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ أَنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾(50) حدث في ذلك إبدال بوضع الظاهر موضع المضمر (إنا كنا مرسلين رحمة منا) للتمييز بأن المراد هو شخص النبي (صلى الله عليه وآله) بالذكر دون غيره، حيث التفت بإرجاع الضمير إلى الرب المجعول في محل المضمر ؛ لإتمام المعنى المقصود(51).

**2 ـ قصد المبالغة:**

ومثاله قوله تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ** ﴾[52]، يريد بذلك ذكر حالهم للغير، ليقصد به التعجب والإنكار عليهم لما يقومون به من البغي والاعتداء بعد النجاة مما يدعو بذلك إلى المبالغة[53].

**3 ـ تعظيم شأن المخاطب:**

ومثاله قوله تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۞ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[54]، إنَّ من دواعي الاهتمام بالمخاطب هو الابتداء بإعلاء شأنه فكيف إذ كان الخطاب بين العبد وسيده فلابُدَّ للعبد من أن يقف صاغرًا مُبجلًا لمقام مولاه، وهذا ما نجده في النص الشريف، من الالتفات الظاهر بصورة الانتقال من صفة إلى أخرى من صفاته جل شأنه القارة في نفوس عباده.

**4 ـ قصد التوبيخ:**

ومثاله قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۞ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا** ﴾[55]، حيث انتقلَ بالسياق من الغيبة إلى الخطاب لتوبيخ القائل بذلك وإنكاره عليه للحدّ منه والابتعاد عنه[56].

**صور الالتفات وأسرارها البلاغية في آيات النَّفس:**

**1 ـ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وأسراره التعبيرية:**

ومن أظهر نماذج هذه الصورة هو قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾[57].

في هذا النص المبارك يُذكِّر الباري –جل شأنه– الناس عامةً بالميثاق الذي أخذهُ عليهم وهم ذرية في صلب أبيهم آدم (عليه السلام)، فقد وردَ ذلك بضمير الغائب الكائن في (أخذ) ومال عن ذلك في الاستفهام (الست بربكم) وهذا من مصاديق الالتفات من الغيبة إلى الحضور لتقوية الغاية المتوخاة من ذلك، وهو تحديد هذا المقام بتشريف أبناء آدم (عليه السلام)، حيث أسندهم إلى اسمه، وفي ذلك قال أبو السعود (ت: 982هـ): ((هو السبب في إسناده إلى اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الآتي وإضافته إلى ضميره للتشريف))[58].

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ **يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[59].

من الواضح أنَّ الالتفات جاء في هذه الآية المباركة للتشريف والتكريم، إذ إنَّهُ وصفَ النعيم الكبير الذي يغدقه الباري على عباده الصالحين في الجنة، فهم يتمتعون بما تشتهيه أنفسهم وتلذُّ به أعينهم واصفًا لذلك المقام ببلاغة الضميرين الغائب بقوله (يُطاف عليهم) وكذلك المخاطب (وأنتم فيها خالدون)، حيث دلَّ كلٌ منهما على الالتفات إلى عظيم النِّعم وفي ذلك يقول أبو السعود (ت: 982هـ): ((يطاف عليهم بعد دخولهم الجنة حسبما أُمروا به بصحافٍ من ذهب وأكواب كذلك، والصحاف جمع صفحة، قيل هي القصعة. .))[60].

جاء قول أبي السعود مُعضِدًا لما وردَ في النص القرآني من تصوير لعظيم الرفاه والنعيم المقيم للعباد.

**2 ـ الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:**

لقد تضمنت الآيات محل البحث والدراسة جوانب من ذلك اللون البلاغي، كالذي نجده داعيًا إلى الانتقال من الخطاب إلى الغيبة كما نجده في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا**﴾(61).

فقد تجلى الالتفات في الآية المباركة من الخطاب في قوله (جاءوك) إلى الغائب الوارد في قوله (واستغفرَ لهم الرسول) عوضًا وبدلًا عن قوله (واستغفرت لهم)، ومفاد ذلك أنَّ طاعة الرُّسل ما هي إلا طاعة لله سبحانه فما بالك بمن هو سيد الرسل الذي يقف فحوى النص وما ورد فيه من الالتفات لتعظيم شأنه وبيان جليل مكانته، وفي ذلك قال الزمخشري (ت: 538هـ): ((وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيمًا بشأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتعظيمًا لاستغفاره وتنبيهًا على أنَّ شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان))(62).

فمدار قول الزمخشري أنَّ العلة من الالتفات في هذا النص هو التأكيد على التعظيم وبيان المكانة، وقوله تعالى: ﴿ **لَوْلَا إِذ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ**﴾(63).

خرج الالتفات في هذا النص الشريف لغرض التأديب، حيث جاء بأعذب التعبير وأجمله وأدله على الانتقال الموحي بالالتفات من الخطاب في قوله تعالى (لولا إذ سمعتموه) إلى الغيبة في قوله (ظن المؤمنون والمؤمنات)، وبهذا يكون أدلى للغاية المنشودة من هذا الأسلوب الهادفة إلى تأكيد التوبيخ بدلالة وجود لولا التخصيصية وهي إحدى لوازم التوبيخ ومن ثم العدول إلى الغيبة كما هو متقدم في المثال أعلاه (64).

**3 ـ الالتفات بين الأفعال:**

**أ . الالتفات من الماضي إلى المضارع:** ومثاله قوله تعالى: ﴿**وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ**﴾(65).

وقع الالتفات في النص الكريم من الماضي إلى المضارع، ليصوّر لنا مشاهد يوم القيامة التي يكون من أول أحداثها هو استيفاء كل نفسٍ حقها جزاءًا لما عملت، ولهذا التعبير أهمية كبيرة في الجانب العقائدي ؛ لأنه يعزز الإيمان بالغيب لدى النفوس التي إيمانها أكثر ما يكون في المحسوس الظاهر(66).

وفي ذلك يقول الأستاذ حامد عبد القادر بخصوص الفعل الماضي في القرآن الكريم ودلالاته ما هو مفاده ونصهُ: ((نقول إنَّ هذه اللغة الحافلة بالعجائب والأسرار تفوق اللغات الحية في استعمال الماضي لأغراض أخرى، وفي مقدمة هذه الأغراض أنَّ الماضي يُستعمل لما سيقع في المستقبل واستعمال الماضي بدلًا من المضارع لنكتةٍ بلاغية هي تنزيل حوادث المستقبل منزلة حوادث الماضي للإشارة إلى أنَّ حوادثها واقع لا محالة))(67).

وما يُبتغى إيصاله هنا في استعمال الأفعال بعضها محل البعض الآخر ليؤدي بذلك أغراضًا بلاغية كما نجده في استعمال الماضي للتعبير عن المستقبل وما يؤديه من أغراض في مقدمتها حتمية الوقوع لتلك الأحداث، ومن الالتفات ما كان في مقام تكذيب بني إسرائيل للرسل والأنبياء كما جاء في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ**﴾(68).

حيث إنَّ موضع الالتفات وقع في قوله (يقتلون) ومقتضى السياق أن يقال: (قتلوا) ليكون مُتناسب مع قوله (كذبوا)، إذ إنَّه بذلك عدلّ من الماضي إلى المضارع كما يرى المفسرون؛ لتثبيت وحشية ما يقومون به وكذلك للتنبيه على أنَّ ذلك منهجهم المستمر دون انقطاع وفي ذلك المضمار أشار الرازي (ت: 606هـ) إلى سؤال حيث قال: لمَ ذكر أحد الفعلين ماضيًا والآخر مضارعًا؟ وقد أجاب عن السؤال بطريقة مناسبة إذ كان جوابه: إن الله تعالى وضحّ كيف كانوا يُكذبون الرُّسل كل من موسى وعيسى في مختلف مقامات التبليغ وكيفية تمردهم على أوامره وتكاليفه، وعلة ذكره التكذيب بلفظ الماضي دلالة على معاملتهم مع موسى (عليه السلام) حيث قضى مع ذلك مراحل كثيرة، وفي الوقت ذاته ذكر القتل بصيغة المضارع دلالة على معاملتهم مع زكريا وعيسى (عليهم السلام) وكان الحاضر وصيغته بسبب الزمان وقربه[69].

**ب: الالتفات من الماضي إلى الأمر :**

وقوله تعالى: ﴿**فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ۝ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[70]، ظهر الالتفات ليدلَّ على ما سيؤول إليه حالهم في الدنيا والآخرة، إذ إنَّهُ على حتم الوقوع، وفي ذلك قال الزمخشري (ت:538هـ): ((معناه: سيضحكون قليلًا ويبكون كثيرًا جزاء إلا أنهّ أخرج على لفظ الأمر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره))[71].

جاء تفسير الزمخشري لقوله –جلّ ثناؤه– موضحًا لعلة مجيئه على صيغة الأمر، وذلك لتأييد وقوعه، وفي شأن ذلك قال النسفي (ت: 710هـ): ((فليضحكوا قليلًا وليبكوا كثيرًا إن مدار الأمران في النص المبارك معناهما الخبر والغاية من ذلك سيضحكون قليلًا وسيبكون كثيرًا، وإنما جيء بهما على لفظ الأمر للدلالة على أنَّ ذلك أمراَ محتوم لا يكون لغيره))[72]، فقد أشار إلى ذات المضمون الذي قاله الزمخشري وغيره من علة مجيئه بصيغة الأمر.

**4 ـ الالتفات في الأعداد:**

**أ ـ الالتفات من المفرد إلى المثنى:** فمن الالتفات ما كان فيه الخطاب موجهًا للمفرد الواحد ولكنه جاء بلفظ المثنى كما في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۝ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ**﴾[73]، وفي ذلك ذكر المفسرون أنَّ الخطاب كان مفادُه للمفرد؛ لكن الفعل جاء مُكررًا للتأكيد، فكأنه أراد أن يقول: ألقِ ألقِ وقيل: إنَّ مقصود الخطاب للملائكة الموكلون على النار، فهو بذلك يكون انتقال من المثنى إلى الجمع، وقيل: هو على مقصده في التثنية، إذ المُراد من ذلك هو خطاب الملكين على نظير ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ** ﴾[74]، فهو في ذلك كان خطاب للمفرد الواحد جاء بمنزلة الإثنين وهو بذلك جريًا على عادة العرب إذ إنَّهم يأتون بصيغة المثنى لخطاب الواحد كما يقولون: يا صاحبيَّ وخليليَّ، وفي ذلك قال الطبري مُسويًا ومُخرجًا للآية على الوجهين: ((فأخرج الأمر للقرين وهو بلفظ واحد مخرج خطاب الإثنين، وفي ذلك وجهان للتأويل هما: الأول أن يكون القرين بمعنى الاثنين، وفي ذلك وجهان بلفظ الواحد في الواحد والتثنية والجمع فجاء

قوله (ألقيا في جهنم) ردًا للمعنى، والثاني أن تكون كما كان بعض أهل العربية يقول: وهو أنَّ العرب تأمر الواحد والجماعة بما تأمر به الإثنين))[75].

جاء قول الطبري مبيّنًا لما كان عليه العرب من لغة الخطاب في التعبير عن الواحد بالمثنى والمثنى على الجمع وما إلى ذلك من الصيغ الأخرى.

وحمل القرطبي (ت: 671هـ) ما ثبت عند النحويين مؤيدًا بذلك الرأي القائل لدى العرب في خطابها حيث قال: ((قال الخليل والأخفش: هذا كلام العرب الفصيح أن تُخاطب الواحد بلفظ الاثنين فتقول: ويلك ارحلاها وازجراها وخذاه واطلقاه للواحد، قال الفراء: تقول للواحد قوما عنا))[76].

فما نقله القرطبي مما شاع عن النحويين من كلام العرب جاء مُتممًا ومُكملًا لما قاله الطبري في ذلك، وذهب الزركشي إلى أنَّ المراد من خطاب الآية إرادة الواحد وهو خازن النيران[77]، في حين رجحَ السيوطي أن يكون المقصود بذلك هو الواحد وهو خازن النيران، حيث إنَّه أورد الآية عندما أراد الانتقال في الخطاب من الواحد إلى الاثنين[78].

**ب ـ الالتفات من الجمع إلى المفرد:**

ومن مواضع الالتفات الدالة على العدد ما كان في قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ**﴾[التوبة:17]، إنَّ المراد من النص المبارك هو بيان مكانة دُوّر ومساجد العبادة ولاسيما المسجد الحرام الذي يُعدُّ قبلة المسلمين فعمارته تؤدي بنهاية الأمر إلى عمارة المساجد كلها ولأجل ذلك كان الالتفات جاريًا بالانتقال من حيث العدد من الجمع ليدلَّ على المفرد، فكان موضعه في قوله –جلَّ ثناؤه– (مساجد) حيث أراد المسجد الحرام، ولكنه أتى بلفظ الجمع والمطلوب هو الإفراد، وفي ذلك قال البيضاوي (ت: 685هـ): ((ما صح لهم أن يعمروا مساجد الله فضلًا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وإنما جُمع ؛ لأنه قبلة المساجد وإمامها فعامره كعامر الجميع))[79].

والظاهر من ذلك جمع المساجد والمراد هو مسجد واحد، لبيان تبعيتها له وأفضليته عليها إذ تعتبر كلها عيالٌ عليه.

**ج ـ الالتفات من المفرد إلى الجمع:**

ومن الالتفات ما كان في شأن الطلاق، لغرض التشريع والتأكيد على أحكامه كما في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا**﴾[80].

فقد جاء الخطاب بصيغة المفرد والمراد من ذلك الجمع وهو سرُّ الالتفات وغرضهُ الأهم، فظاهر القول إنَّ الخطاب للنبي (صلى الله عليه وآله)، كونه المُشّرع الأول لأحكام الله ومنها الطلاق فجاء الالتفات في قوله جل شأنه (طلقتم ـ وأحصُوا ـ واتقوا) حيث كلها جاءت بصيغة الجمع مع إنَّ الخطاب المُتقدم قد كان بصيغة المفرد (يا أيها النبي) حيث كان من المُؤمَّل في سياق الخطاب أن يُقال: يا أيُّها النبي إذا طلقت النساء، لكنه قد أبدل

من المفرد إلى الجمع لأغراض متعددة منها أنَّ المقصود من ذلك هو جميع من بيده حق الطلاق، ومن الأغراض هو شمولية النداء كون الحكم يخصهم جميعًا وليس فقط لشخص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)[81].

وفي ذلك قال الطبري (ت: 310هـ): ((ابتدأ خطاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم جعل الفعل للجميع إذ كان أمرَ اللهُ نبيهُ بأمرٍ امرًا منه لجميع أمتهِ، كما يقال للرجل يُغرد بالخطاب والمراد به هو وجماعة أتباعه أو عشيرته أو قبيلته))[82].

وفحوى ما أراد الطبري أن يقوله هو دلالة المفرد على الجمع كما هو وارد في قوله –جلَّ ثناؤه– لنبيه الكريم في بيان أحكام الطلاق والمراد من ذلك عامة الناس، حيث كان بذلك ملمحًا بلاغيًا كبيرًا وهو الالتفات والانتقال من المفرد إلى الجمع.

ورأى ابن كثير أنَّ الكلام موجه له (صلى الله عليه وآله)، وكذلك لأمته من بعده لكنه تعالى أورده لنبيه ابتداءً، تشريفًا وتكريمًا له ليشمل بذلك من يقع تحت سلطان ولايته ومنبر إرشاده[83].

وما يُرتجى الوصول إليه هو بيان الله سبحانه لأحكامه وشرائعه التي تقتضي لفت الألباب والتأكيد وكأنَّهُ في خطاب الفرد وهو الرسول (صلى الله عليه وآله) وإرادة العموم دلالة للتحريض من الله لرسوله لمتابعة ذلك الأمر والحَد من وقوعه بمعالجة أسبابه ومقدماته وإن وقع فلابد من الالتزام بأحكامه وبنوده المبينة كما جاءت في النص المبارك[84].

وبذلك يكون الالتفات من أهم الأساليب البلاغية التي وظفها النص المقدس لتحقيق أغراضه وما يبتغي الوصول إليه.

**الخاتمة:**

1. التعريف والتنكير من العناصر الأساسية في الاتساق التركيبي، وهذا ما وُجِد عند تتبع السمات المميزة لكل من التعريف والتنكير فهما ليسا معلماً شكلياً فقط، وإنّما رابط فعّال بين أركان النصوص.
2. التعريف والتنكير يُعززان التعدد الدلالي والإيحائي للمفردات، مما يسهم بدوره في تعزيز دائرة المعاني للمفردة الواحدة.
3. يؤدّي كلّ من التعريف والتنكير دورًا مهمًّا في العملية التعبيرية يكون مؤدّاه وغايته هي تحقيق العديد من الأغراض لعلّ أبرزها التأكيد والتنبيه.
4. إن الالتفات من الأساليب البلاغية البارزة والمهمّة التي تحمل بين طيّاتها كثيراً من الأساليب البلاغية والتي يردُ في مقدمتها قابلية هذا اللون البلاغي على الحفاظ على انتباه المتلقي وعدم السماح للضجر والملل أن يتمكن منه؛ وما ذلك إلا نتيجة التنقل بين صيغ الكلام المختلفة، ومن أسراره هي توظيفه من قبل المتكلم عندما يريد إعلاء وإكبار شأن المخاطب.
5. لقد حظي الالتفات بتضمن وتمثيل واسع في النَّص القرآني الكريم؛ وذلك نتاج ما يقوم به من تطرية الكلام الباعثة على جودة التعبير وجماليته.

**الهوامش:**

(1) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط: 2 / 405.
(2) معجم مقاييس اللغة: مادة (عرف): 4 / 281.
(3) ينظر: لسان العرب: مادة (عرف): 3 / 135.
(4) ينظر: العين: مادة (نكر): 4 / 264.
(5) الكتاب: 2 / 5.
(6) معجم مقاييس اللغة: مادة (نكر): 5 / 476.
(7) مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت: 262 هـ)، تحقيق: نعيم زرزور : 178.
(8) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي (ت: 745هـ): 2 / 14.
(9) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة: السيد حسين الهمداني (ت: 1330هـ)، تحقيق: الشيخ نبيل رضا علوان: 558.
(10) المرجع نفسه: 558.
(11) أساليب بلاغية الفصاحة والبلاغة والمعاني: أحمد مطلوب: 143.
(12) المباحث البلاغية في حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي (رسالة ماجستير): سارة علي ناصر العامري، جامعة ذي قار . كلية التربية للعلوم الإنسانية: 208.
(13) النساء :64.
(14) ينظر: تفسير ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء بن كثير (ت: 774هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط: 1 / 525.
(15) النساء :1.
(16) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه: أبو عبد الله بدر الدين الزركشي (ت: 794هـ): 1 / 154.
(17) ينظر: البيان في إعراب القرآن: عبد الله بن الحسين العسكري (ت: 616هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي: 1 / 431.
(18) ينظر: مفاتيح الجنان: الشيخ عباس القمي (ت: 1294هـ): 343.
(19) النساء :128.
(20) الهداية الكبرى: حسين بن حمدان الخصيبي (ت: 334هـ): 362.
(21) البقرة :85.
(22) ينظر: التحرير والتنوير: 1 / 586.
(23) أسرار العربية: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت: 577هـ)، تحقيق: محمد بهجت البيطار: 190.
(24) ينظر: معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي: 1 / 119.
(25) يوسف :23.
(26) ينظر: التحرير والتنوير: 12/ 667.
(27) البقرة :9.
(28) ينظر: التحرير والتنوير: 269/1.
(29) الحشر :18.
(30) الكشاف: 6/ 84.
(31) البقرة :48.
(32) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: مصطفى أبو السعود (ت: 982هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا: 1 / 171.

(33) آل عمران :185.

(34) ينظر: تفسير الأمثل: 3 / 33.

(35) البقرة :72 ـ 73.

(36) ينظر: التحرير والتنوير: 1 / 527.

(37) معجم العين: مادة (لَفِت): 8 / 121.

(38) القاموس المحيط: مجد الدين الفيروز آبادي (ت: 871هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي: 1 / 204.

(39) يونس :78.

(40) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبي منصور الثعالبي (ت: 429هـ)، تحقيق: د. عمار طالبي: 2 / 251.

(41) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: 68.

(42) البديع: عبد الله بن المعتز (ت: 496هـ)، تحقيق: افناطيوس ،:85.

(43) البرهان في وجوه البيان: أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن وهب الكاتب (ت: 353هـ)، تحقيق: أحمد مطلوب: 151.

(44) خصائص الأسلوب في شعر طرفة بن العبد: رؤى جمعة يونس (رسالة ماجستير) الناشر: جامعة بغداد ـ كلية الآداب: 83.

(45) ينظر: شعرية الانزياح دراسة في جماليات العدول: د. خيرة حمزة العين: 224.

(46) ينظر: المصدر نفسه: 225.

(47) ينظر: شروح التلخيص: بهاء الدين المعروف بالخطيب القزويني (ت: 739هـ)، تحقيق: سعد الدين الفتازاني: 1 / 470.

(48) الفاتحة :5.

(49) ينظر: شروح التلخيص: 1 / 472.

(50) الدخان :4 ـ6.

(51) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 3 / 329.

(52) يونس :22.

(53) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 3 / 329.

(54) الفاتحة :1 ـ 5.

(55) مريم :88 ـ 89.

(56) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 3 / 330.

(57) الأعراف :172.

(58) إرشاد العقل السليم: 3 / 264.

(59) الزخرف :71.

(60) إرشاد العقل السليم: 96/6.

(61) النساء :64.

(62) الكشاف: 1 / 538.

(63) النور :12.

(64) ينظر: تفسير القرآن العظيم: 3 / 257.

(65) الزمر :70.

(66) ينظر: الالتفات في البلاغة العربية ونماذج من أسرار بلاغته في القرآن الكريم: د. طاهر عبد الرحمن قحطان: 33 ـ 34.

(67) العدول من المفرد إلى الجملة في القرآن الكريم (رسالة ماجستير): عبد الجليل محمد، كلية الآداب ـ جامعة بغداد: 73.
(68) المائدة :70.
(69) ينظر: مفاتيح الغيب: 12 / 404.
(70) التوبة:81 – 82.
(71) الكشاف: 2 / 205.
(72) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله النسفي (ت: 710هـ)، تحقيق: يوسف علي بدوي: 2 / 102.
(73) ق:23 –24.
(74) ق:21.
(75) جامع البيان: أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ): 26: 165.
(76) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش: 17 / 16.
(77) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 2 / 239.
(78) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: 2 / 90.
(79) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (ت: 685هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي: 3 / 135.
(80) الطلاق :1.
(81) ينظر: فتح القدير: 5 / 232.
(82) جامع البيان: 8 / 117.
(83) ينظر: تفسير ابن كثير: 4 / 378.
(84) ينظر: سنن أبي داود (كتاب الطلاق): أبو داود سليمان بن الأشعث (ت: 275هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد: 2/ 123.

**المصادر والمراجع:**

**القرآن الكريم.**

1. الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة . بيروت . لبنان.
2. الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة . بيروت . لبنان.
3. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: مصطفى أبو السعود (ت: 982هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، ط1: 1958م.
4. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: مصطفى أبو السعود (ت: 982هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، ط1: 1958م.
5. أساليب بلاغية الفصاحة والبلاغة والمعاني: أحمد مطلوب، دار وكالة للمطبوعات الكويت، ط1: 1980م.

6. أسرار العربية: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت: 577هـ)، تحقيق: محمد بهجت البيطار، دار الأرقم بن أبي الأرقم . بيروت . لبنان، ط1: 1999م.
7. الالتفات في البلاغة العربية ونماذج من أسرار بلاغته في القرآن الكريم: د. طاهر عبد الرحمن قحطان، مجلة الدراسات الاجتماعية ـ اليمن، ط1: 2005م.
8. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، اختصره: علي أحمد باباتي، دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان، ط2.
9. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (ت: 685هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان، ط1: 1418هـ.
10. الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين المعروف بالخطيب القزويني (ت: 739هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان، ط2: 2010م.
11. البحر المحيط في أصول الفقه: أبو عبد الله بدر الدين الزركشي (ت: 794هـ)، دار الكتبي . بيروت . لبنان، ط1: 1994م.
12. البديع: عبد الله بن المعتز (ت: 496هـ)، تحقيق: افناطيوس، مطابع دار الشعب ـ القاهرة ـ مصر.
13. البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين الزركشي (ت: 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة . بيروت . لبنان، ط1: 1957م.
14. البرهان في وجوه البيان: أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن وهب الكاتب (ت: 353هـ)، تحقيق: أحمد مطلوب، مطبعة العاني ـ بغداد ـ العراق، ط1: 1969م.
15. البيان في إعراب القرآن: عبد الله بن الحسين العسكري (ت: 616هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجبل . بيروت . لبنان، ط2: 1987م.
16. التحرير والتنوير: محمد طاهر ابن عاشور (ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر– تونس، 1984هـ.
17. تفسير ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء بن كثير (ت: 774هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الفكر . بيروت . لبنان، ط1: 1998م.
18. تفسير ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء بن كثير (ت: 774هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الفكر بيروت . لبنان، ط1: 1998م.
19. تفسير القرآن العظيم: عماد الدين بن كثير (ت: 474هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة للنشر . الرياض . السعودية، 1420هـ.
20. التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب: الفخر الرازي (ت: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان، ط3: 1223هـ.
21. جامع البيان: أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ): 26: 165.

22. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ)، دار التربية والتراث، مكة المكرمة.
23. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ مصر، ط2: 1964م: 17 / 16.
24. الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبي منصور الثعالبي (ت: 429هـ)، تحقيق: د. عمار طالبي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.
25. خصائص الأسلوب في شعر طرفة بن العبد: رؤى جمعة يونس (رسالة ماجستير) الناشر: جامعة بغداد ـ كلية الآداب، 2007م.
26. سنن أبي داود (كتاب الطلاق): أبو داود سليمان بن الأشعث (ت: 275هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت.
27. شروح التلخيص: بهاء الدين المعروف بالخطيب القزويني (ت: 739هـ)، تحقيق: سعد الدين الفتازاني، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، ط1: 1402هـ.
28. شعرية الانزياح دراسة في جماليات العدول: د. خيرة حمزة العين، دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان.
29. الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة: السيد حسين الهمداني (ت: 1330هـ)، تحقيق: الشيخ نبيل رضا علوان، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر . قم . إيران، ط2: 2007م.
30. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي (ت: 745هـ)، المكتبة العصرية . بيروت . لبنان، ط1: 1423هـ.
31. العدول من المفرد إلى الجملة في القرآن الكريم (رسالة ماجستير): عبد الجليل محمد، كلية الآداب ـ جامعة بغداد: 2000م.
32. فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني (ت: 125هـ)، دار الخير . بيروت . لبنان.
33. القاموس المحيط: مجد الدين الفيروز آبادي (ت: 871هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان، ط8: 1426هـ.
34. الكتاب: عمرو بن عثمان سيبويه (ت: 180هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي . القاهرة . مصر، ط3: 1988م.
35. كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 174هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان.
36. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت: 467هـ)، دار الكتاب . بيروت . لبنان، ط3: 1407هـ.
37. لسان العرب: محمد بن مُكرم بن منظور (ت: 711هـ)، مادة النَّفس، دار صادر . بيروت . لبنان، ط3: 1414هـ.

38. المباحث البلاغية في حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي (رسالة ماجستير): سارة علي ناصر العامري، جامعة ذي قار . كلية التربية للعلوم الإنسانية، 1964م.
39. مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله النسفي (ت: 710هـ)، تحقيق: يوسف علي بدوي، دار الكلم الطيب - بيروت - لبنان، ط1: 1998م.
40. معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر . الأردن، ط1: 2000م.
41. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس (ت: 395هـ)، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر العربي . بيروت . لبنان.
42. مفاتيح الجنان: الشيخ عباس القمي (ت: 1294هـ)، دار الأعلمي للمطبوعات . بيروت . لبنان، ط7: 2009م.
43. مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت: 262 هـ)، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، ط2: 1987م.
44. الهداية الكبرى: حسين بن حمدان الخصيبي (ت: 334هـ)، مؤسسة البلاغ . بيروت . لبنان، ط1: 1419هـ.